

محاضرة : بناء المجتمع الشبكي وتنميته

مدخل عام إلى مفهوم المجتمع الشبكي

أفرزت التحولات التكنولوجية المتسارعة، خاصة في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصال، نمطاً جديداً من التنظيم الاجتماعي أطلق عليه علماء الاجتماع والإعلام مصطلح **المجتمع الشبكي**. ويشير هذا المفهوم إلى مجتمع تُبنى فيه العلاقات الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية، والثقافية عبر شبكات رقمية مترابطة، تشكل البنية الأساسية للتفاعل الإنساني.

لم يعد المجتمع المعاصر قائماً فقط على الانتماء المكاني أو المؤسسي التقليدي، بل أصبح يقوم على التدفق المستمر للمعلومات والبيانات، وهو ما أعاد تشكيل مفاهيم السلطة، الهوية، والثقافة.

الجزور النظرية لمفهوم المجتمع الشبكي

يرتبط مفهوم المجتمع الشبكي أساساً بأعمال عالم الاجتماع الإسباني مانويل كاستلز، الذي قدّم تحليلاً شاملاً للتحولات البنيوية التي أحدثتها شبكات الاتصال الرقمية في بنية المجتمع المعاصر.

يرى كاستلز أن المجتمع الشبكي هو نتيجة مباشرة لالتقاء ثلاثة عناصر رئيسية:

1. الثورة التكنولوجية في مجال الاتصال.
2. التحول الاقتصادي نحو اقتصاد المعلومات.
3. إعادة هيكلة السلطة والسياسة في ظل العولمة.

وبحسب هذا التصور، لم تعد الشبكات مجرد أدوات تقنية، بل أصبحت منطقتاً اجتماعياً جديداً لتنظيم الحياة اليومية.

تعريف المجتمع الشبكي

يمكن تعريف المجتمع الشبكي بأنه **نمط اجتماعي** تُنظّم فيه الأنشطة والعلاقات والسلطة عبر شبكات مرنة، مفتوحة، وقابلة لإعادة التشكيل، تعتمد بشكل أساسي على تكنولوجيا المعلومات والاتصال.

في هذا المجتمع:

- الشبكة تحل محل المؤسسة الهرمية.
- الاتصال يحل محل السيطرة المباشرة.
- التدفق يحل محل الثبات.

خصائص المجتمع الشبكي

يتميز المجتمع الشبكي بعدة خصائص بنيوية، أهمها:

أولاً، اللامركزية، حيث لم تعد السلطة أو المعلومة محصورة في مركز واحد، بل موزعة عبر عقد شبكية متعددة.

ثانياً، المرونة، إذ يمكن للشبكات أن تتوسع أو تنقلص حسب الحاجة، دون أن تفقد فعاليتها.

ثالثاً، الترابط العالمي، حيث تتجاوز العلاقات الحدود الجغرافية والثقافية.

رابعاً، اقتصاد المعلومات، إذ تصبح المعرفة مورداً استراتيجياً أساسياً.

خامساً، الزمن الآني، حيث تتم التفاعلات بشكل فوري تقريباً.

الانتقال من المجتمع الصناعي إلى المجتمع الشبكي

يمثل المجتمع الشبكي مرحلة تاريخية جديدة تلت المجتمع الزراعي والصناعي. ففي المجتمع الصناعي، كانت المصانع والمؤسسات المركزية هي محور الإنتاج والتنظيم، بينما في المجتمع الشبكي، أصبحت المنصات الرقمية، الشركات التكنولوجية، والشبكات الافتراضية هي البنى الأساسية.

وقد أدى هذا التحول إلى:

- تغيير أنماط العمل (العمل عن بُعد)
- تغيير أنماط التواصل الاجتماعي.
- إعادة تعريف مفاهيم الطبقة والهوية.

بناء المجتمع الشبكي

إن بناء المجتمع الشبكي لا يتم تلقائيًا بمجرد إدخال التكنولوجيا، بل يتطلب جملة من الشروط البنيوية والاجتماعية والثقافية.

1. البنية التحتية الرقمية لا يمكن بناء مجتمع شبكي دون بنية تحتية قوية تشمل:

- شبكات إنترنت عالية الجودة.
- تغطية رقمية شاملة.
- بنى اتصالية آمنة.

2. رأس المال البشري الرقمي يتطلب المجتمع الشبكي أفرادًا يمتلكون:

- كفاءات رقمية.
- قدرة على التعلم المستمر.
- مهارات التفكير النقدي.

3. الإطار المؤسسي والقانوني يتطلب البناء:

- سياسات رقمية واضحة.
- قوانين تحمي البيانات والخصوصية.
- تشريعات تشجع الابتكار.

تنمية المجتمع الشبكي

تنمية المجتمع الشبكي تعني تعزيز قدرته على الإنتاج، الابتكار، والمشاركة بطريقة مستدامة.

1. تنمية الثقافة الرقمية تشمل:

- محو الأمية الرقمية.
- نشر أخلاقيات الاستخدام الرقمي.
- تعزيز الوعي الإعلامي.

2. تمكين المشاركة الاجتماعية والسياسية يسهم المجتمع الشبكي في:

- توسيع المشاركة السياسية.

- دعم الحركات المدنية الرقمية.
- تعزيز الشفافية والمساءلة.

3. دعم الاقتصاد الشبكي ويشمل:

- الاقتصاد التشاركي.
- ريادة الأعمال الرقمية.
- التجارة الإلكترونية.

تحديات بناء وتنمية المجتمع الشبكي

رغم الفرص الكبرى، يواجه المجتمع الشبكي تحديات عميقة، منها:

- الفجوة الرقمية.
- الهيمنة التكنولوجية للشركات الكبرى.
- المراقبة الرقمية.
- هشاشة الخصوصية.
- تهميش الفئات غير المتصلة.

المجتمع الشبكي والهوية والثقافة

أعاد المجتمع الشبكي تشكيل الهويات الاجتماعية، حيث أصبحت الهوية:

- مرنة.
- متعددة.
- متفاوضًا عليها داخل الشبكات.

وفي المقابل، برزت إشكالات مثل فقدان الخصوصية الثقافية، وانتشار الثقافات المهيمنة.